ظاهرة التناص في شعر الأمير عبد القادر الجزائري

Intertextuality phenomenon in Algerian El-Amir Abdelkader Poem

الطالب/ كمال الدين عطاء الله

جامعة حسيبة بن بوعلي-الشلف (الجزائر)

تاريخ الإيداع: 2017/07/16 تاريخ القبول: 2017/08/13

الملخص:

يعد "التناص" من الظواهر التي تستخدم كثيراً في الأعمال الشعرية والنثرية قديماً وحديثاً، وقد اختلفت الآراء حوله، فهناك من يعتبره من السرقات الأدبية، والبعض الآخر يرى أنّ الشاعر يلجأ إلى إبداعات غيره، إعجاباً وتأثراً، أو نتيجة ضعفه، أو قلّة زاده اللغوي، أو المعرفي؛ فيقتبس أو ينسخ دون إذن صاحب النص بداعي التأثر والإعجاب، وما بين الاقتباس والسرقة لازال المفهوم يتأرجح.

والأمير عبد القادر كغيره من الشعراء تشبّع بثقافة غزيرة مكّنته من الاطلاع على مختلف الفنون والمعارف المتنوعة، ناهيك عن تأثير شخصيته العربية والدينية على تكوينه الفكري والأدبي، فكان لذلك وقع كبير على نصوصه الشعرية، التي تحيل المتلقي مرة إلى النص القرآني، وأخرى إلى أقوال العلماء، أو فحول الشعر، أو إلى الأمثال والحكم.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر الجزائري، الشعر، التناص، السرقات الأدبية، الإقتباس، الأدب، النثر.

Abstract:

The "intertextuality" considered from phenomena which are used a lot in the poetry works and prose, past and present, have different views about it, there are those who consider literary thefts, others believe that the poet resorts to creations other, impressed and affected by, or as a result of weakness, or lack of linguistic knowledge, or cognitive; So; the poet copy text without owner's permission, pretext vulnerability and admiration, and between the quotation and theft, the concept is still swinging.

El-Amir Abdelkader; and like other poets, impacted with copious culture which enabled him to see the various arts and diverse knowledge, in addition, the influence of Arabic and religious personality on the intellectual and literary formation, was therefore a great impact on his poetry's texts, which transmit the recipient to the Quranic text, and the other to the sayings of scholars, or poets, or to proverbs and wisdoms.

Key words : El-Amir Abdul Qadir Al-Jazairi, poetry, literature, literary theft, citation, literature, prose.

عُرف "التناص" منذ عصر الشعراء الأوائل في الشعر العربي؛ فالمقدمة الطللية التي اتسمت بالوقوف على الأطلال والبكاء وذكر الحبيب، تعكس علاقة القصيدة بالنصوص الأخرى، والتداخل فيما بينهما، وقد سار على ذلك العديد من الشعراء. وقد فهم "التناص" قديماً على أنّه ضعف يؤخذ على الشاعر، لأنّ العصر الجاهلي عرف بأصالة شعرائه وعلو قدرهم في نظم الشعر.

ويرى النقاد في العصر الحديث أنّ التصرف في كلام ومعاني الآخرين، فيه دلالة على أنّ المحدثين لم يبق لهم خيار إلا في مثل هذا الفعل، لأنّ القدامى لم يتركوا لهم شيء، وهذا الرأي له ما يبرره وله ما ينفيه، فلكل شاعر طريقته ومكانته؛ فالبعض يستعمل التناص تدليلاً على المعنى، كمن يستعمل آيات القرآن الكريم مثلاً، وهناك من يستعمله لزيادة جمال القصيدة ورونقها الفني.

وقد ظهر مصطلح "التناص Intertexuality "على يد "جوليا كريستيفا" سنة 1966م، في مجلة (TEL QUEL) الفرنسية، والتي رأت بأنّ كل نص هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكل نصّ هو تشرّب وتحويل

لنصوص أخرى، إلا أنّ أصل المصطلح-كما يرى النقاد- يرجع لأستاذها الروسي "ميخائيل باختين" الذي لم يذكر المصطلح باسمه ولكنه ذكر مرادفات، مثل: (تعددية الأصوات)، (الحوارية)، وحلّلها في كتابه (فلسفة اللغة)، كما وضّحها في كتاباته عن الروائي الروسي ديستوفسكي.

وبالنسبة لكريستيفا، فإنّ أصل المصطلح يعود لسوسير، إذ تقول " إنّ مشكل تقاطع وتفسّخ عدة خطابات دخيلة في اللغة الشعرية قد تمّ تسجيله من طرف سوسير في التصحيفات"[1]. وقد توالت الدراسات النقدية حول "التناص"، واتسع مفهومه، وشاعت عند الغربيين، ثم انتقل لاحقاً إلى العرب عن طريق الاحتكاك الثقافي.

وقد ذهبت أكثر الدراسات النقدية إلى أنّ أي نص إلا ويحوي شيئا من إبداعات نصية أخرى تلقّاها المبدع من خلال مطالعاته، وتأثّره بأعمال مبدعين آخرين، مختزلاً معايشته لتلك القراءات التي خزّنها في ذاكرته، إلى نصوص جديدة، "لأنّ الكاتب إنّما يكتب لغة استمدّها من مخزون معجمي، له وجود في أعماق الكاتب، وهو مخزون تكوّن من خلال نصوص متعاقبة "[2]، وهذا يعني أنّ لثقافة الكاتب دور كبير في عملية التناص، لأنّه "ظاهرة لغوية معقدة، تستعصي على الضبط والتقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي، وسعة معرفته وقدرته على الترجيح"[3]، فكما تترابط الكلمات داخل النص الواحد في علاقات متنوعة، فإنّ النصوص أيضاً تربطها علاقات لفظية أو معنوية " فكل نص يتوالد، ويتعالق، يتداخل، وينبثق من هيولى النصوص في مجاهيل ذاكرة المبدع الإسفنجية التي تمتص النصوص بانتظام، وبثّها بعملية انتقائية خبيرة، فتشتغل هذه النصوص المستحضرة من الذاكرة داخل النص لتشكل وحدات متعالية في بنية النص الكبرى "[4]. مما يعني أن هناك تراكمية معرفية تربط النصوص الإبداعية ببعضها البعض.

وقد استخدم "الأمير" عملية "التناص" في مواضع متفرقة من مواضيع تجربته الشعرية، حتى مثّلت ظاهرة أسلوبية بارزة في شعره، تنوعت ما بين اللفظ، المعنى، التلميح، التراث، الدين، الذات، على النحو الآتي:

أ- التناص اللفظي المعنوي:

وهو أنْ يُقتبس المعنى عن نص سابق، ويتكلم به بلفظه ومعناه، ومنه قول الأمير:

لو كنتَ تعلمُ ما في البَدو تعذرني لكن جهِلت وكم في الجهل من ضَرر[5]

تناص مع قول " الخليل بن أحمد الفراهيدي[6]:

لو كنتَ تعلم ما أقول عـذرتَني أو كنـتُ أجهـل ما تقـول عذلتُكا

لكـن جهلـت مقالتي فعذلتنـي وعلمــتُ أنك جاهـل فعـذرتكـا

فاللفظ متشابه في النصين (تعلم، تعذرني، عذرتني، جهلت، جاهل، الجهل، أجهل)، والمعنى مشترك، وهو أنّ المرء عدو لما يجهل -كما قالت العرب-، فالشخص الذي يجهل ما في البدو يظنها بيئة لا تساعد على العيش، وهو نفسه عند "الخليل"؛ فجهل المرء لفعل أو مقال صاحبه يجعله يسيء فهمه، وبالتالي فقد اشتركا في معنى الجهل.

وفي بيت "الأمير" تناص –أيضا- مع قول "مصطفى بن دحو"[7]:

يا غافلا عن أمـور زانها ذهـب ولونهـا لجيــن وتمرها رطب

ونورها مضيء وجوّهـا دائــم وصوتها منشد بالحسن مرتقـب

ومن التناص اللفظي المعنوي بين "الأمير" و "ابن عربي"، قول "الأمير":

وتبكيهم ورق الحمائم في الدجى إذا ما بكت من ليس يدري لها وكر[8]

وقول "ابن عربي"[9]:

ألا يا حمامات الأراكة والبان ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني

ترفّقن لا تظهرن بالنوح والبكا خفى صباباتي ومكنون أحزاني

فاللفظ مشترك والمعنى واحد، والألفاظ التي تناصت (الحمام، الحمائم، البكا، بكت، تبكيهم)، والمعنى المشترك وهو فراق الأحباب، والبكاء عليهم.

ومثله:

إذا ما اشتكت خيلي الجراح تحمحما أقول لها صبرا كصبري وإجمالي[10]

تناص مع "عنترة" في قوله:

فازّور مِنْ وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم[11]

فاللفظ مشترك بين البيتين(اشتكت، الشكوى، تحمحما، تحمحم)، والمعنى في الشكوى من شدة الألم.

ومن التناص اللفظي والمعنوي، تأثر الشاعر بأبي العلاء المعري، حيث يقول "الأمير":

الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشِّعر وبيت من الشَّعر[12]

ونفسه لأبي العلاء المعري:

الحسن يظهر في بيتين رونقه بيت من الشِّعر وبيت من الشَّعر[13]

والملاحظ أن الشاعر أخذ البيت كاملا كما هو بلفظه ومعناه، مما يعني شدة تأثره بأبي العلاء، والذي يعد من بين أشهر شعراء الزهد.

ومثله أيضا قول الأمير:

نحن الملوك فلا تعدل بنا أحدا وأي عيش لمن قد بات في خفر[14]

وقول الزبرقان بن بدر:

نحن الكرام فلا حي يعادلنا منّا الملوك وفينا تنصب البيع[15]

اشترك الشاعران في الألفاظ (يعادلنا، تعدل بنا) ، وهو بمعنى علو الشرف والمكانة، وأن لا أحد يضاهي مكانتهم.

ومن أمثلة التناص اللفظي والمعنوي، قول "الأمير":

وقد قيل يبقى الود ما العتب باقيا فلله ما أحلى مقال ذوي اللب[16]

تناص مع قول "علي بن الجهم":

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب [17]

إن المتأمل لهذين البيتين يلمح ترابطا جميلا بينهما لفظا ومعنى؛ فالمعنى المشترك بين البيتين هو أنه كلما زاد العتاب زادت المحبة والود، والكلمات المتناصة (يبقى، الود، العتب، باقيا، بقي).

ومن التناص اللفظي المعنوي، قول "الأمير":

يثقن النساء بي حيثما كنت حاضرا ولا تثقن في زوجها ذات خلخال[18]

تناص مع قول "جرير" :

أم من يغار على النساء حفيظة إذ لا يثقن بغيرة الأزواج[19]

اشترك البيتان في الألفاظ (النساء، يثقن، تثقن،الأزواج)، والمعنى لم يختلف بينهما، بل أراد كل منهما أن يثبت شرفه وأمانته، وقوته، بخصال جعلته موضع ثقة الحرائر من الزوجات.

ومن التناص اللفظي والمعنوي، والذي يدلل على تأثر "الأمير" بشعراء المغرب والأندلس قوله:

والراكبون عتق الخيل ضامرة تخالها في مجال الحرب عقبانا[20]

وقول أبو البقاء الرندي:

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنها في مجال السبق عقبانا[21]

الشاعران اشتركا في الألفاظ (راكبين، راكبون، عتاق، عتق، الخيل، ضامرة، في مجال، عقبانا)، واشتركا في المعنى؛ فالفرسان المحاربون يكونون مثل الطيور الجارحة في السبق أو الحرب.

ومثله أيضا قوله:

سقى الله غيثا رحمة وكرامة أراض بها حل الأحبة من بروسا[22]

تناص مع قول "ولّادة بنت المستكفي":

سقى الله أرضا قد غدت لك منزلا بكلّ سكوب هاطل الوبل مغدقِ[23]

فاللفظ المشترك بين البيتين (سقى، الله، أرض، غيثا، أراض)، والمعنى مشترك في دلالة الاستبشار والدعاء للأحبة، فالأمير يتمنى البركة والرحمة في المكان الذي يحل به أحبته، أما ولّادة فتتمنى الخير والفرح بالمكان الذي ينزل فيه الحبيب – ابن زيدون-.

ومن التناص اللفظي المعنوي، قول "الأمير":

أروح نفسي بالأماني راجيا سماحة دهر ضن يرجع كالخال[24]

تناص مع " الطغرائي "، في قوله:

أعلل النفس بالآمال أرقبها ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل[25]

اشترك الشاعران في اللفظ (أروح، نفسي، النفس)، والمعنى المشترك هو الصبر، عن طريق الأمل الذي يسكن النفس ويمنيها، فتجد راحتها في ذلك.

ومثله أيضا قوله:

وقال اسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر[26]

وصرّح بمن تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها سِتر[27]

في هذين البيتين تناص مع قول أبو نواس[28]:

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرّا إذا أمكن الجهر

فبح باسم من تهوى ودعني من الكنى فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقد اشتركت الأبيات في كل الألفاظ تقريبا، والتي كان محورها لفظة (الخمر) فالمعنى المشترك هو(ذهاب العقل)، والخمر في حقيقتها تعني السكر الذي يذهب بالعقل رغم مجاز مقصودها عند "الأمير"، وتصريحها عند "أبو نواس"، وهذا يعني أن "الأمير" قد جاء بمعنى جديد ذا بعد مختلف، فليست الخمرة التي ينشدها " الأمير" هي نفسها التي قصدها "أبو نواس"، لكنه استعملها بطريق التضمين لتؤدي مدلولات أخرى، وهذا يدل على سعة خيال " الأمير" ومهارته في استخدام معاني ومفردات اللغة، حيث استطاع أن يجمع بين متناقضات على بحر واحد، وروي واحد، وحركة واحدة، لكن بمعنى مختلف.

ب- التناص المعنوي :

وقد كان أكثر أنواع التناص استخداما عند "الأمير"، ومثله قوله في قصيدة "أنا الحب"[29]:

إن قلت يوما قد تدانـــت ديارنا لأسلو عنهم زادني القرب أشجـــانا

فما القرب لي شاف ولا البعد نافع وفي قربنا عشق دعاني هيمـــانا

فيزداد شوقي كلما زدت قربـــة ويزداد وجدي كلمـــا زدت عرفـــانا

تناص مع قول "ابن الدمينة"[30]:

وقد زعمـــوا أنّ المحـــب إذا دنا يمـــل وأن النأي يشـفي من الوجـــد

بكل تداوينا فلـــم يشـــف ما بنا على أن قرب الدار خير من البعـــد

علما أن قرب الدار ليس بنافـــع إذا كان من تهواه ليس بـــذي ود

المعنى في البيتين، هو أن فراق الحبيب أو بعده سيان، إذا لم يكن بحر الود من الحبيب أوسع، فالقرب يعذب "الأمير" كما يعذبه البعد عن زوجته –أم البنين-، ويعاني "ابن الدمينة" من جفاء الحبيبة التي لا تبغي له ودا.

ومن التناص المعنوي الواضح عند "الأمير"، قوله:

معتقة من قبل كسرى مصونة وما ضمها دن ولا نالها عصر[31]

تناص مع قول "الششتري" :

فما عصـرت وجعلت بـــدن وما سكبـــت زجاجتهـــا بنـــار[32]

فالمعنى هو أنّ خمرة الصوفية ليست كخمرة الدنيا، لا شكلا، ولا مضمونا، فهي ليست نتاج عصر، أو وضع في أقنية الزجاج، بل هي من نوع آخر، تحمل دلالات معنوية، لا يدركها إلا من خاض فيما هم فيه، وشاركهم سكرهم.

ومثاله، قول "الأمير":

ولا غبن في الدنيا ولا من رزينة سوى رجل عن نيلها حظه نزر[33]

تناص مع قول "ابن الفارض":

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له فيها نصيب ولا سهم[34]

فالمعنى المشترك بين البيتين، في خسرِ وغُبن من لم يحظى بخمرة الصوفية، التي تذهب بعقولهم إلى ميدان الوجد الذي يفارقون فيه من حولهم بأرواحهم –كما يعتقدون- وهم معهم بأجسادهم.

وفي سياق تأثر الشاعر بعنترة، يقول "الأمير"[35]:

لا نحمل الضم ممن جاء نتركه وأرضه وجميع العز في السفر

وإن أساء علينا الجار عشرته نبين عنه بلا ضر ولا ضرر

تناص مع قول "عنترة":

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب[36]

في هذين البيتين اشتراك في معاني القوة والشهامة والكرم، فالأمير يدلل على حسن خلقه وشيم وخصال قومه، و" عنترة" يفتخر بنفسه وخلقه وعلو همته.

ج- التناص اللفظي :

ومن التناص اللفظي، قول "الأمير":

فلو نظر الأملاك ختم إنائها تَخَلوا عن الأملاك طوعا ولا قهر[37]

تناص لفظي مع "ابن الفارض"، في قوله:

ولو نظر الندمان ختم إنائها لأسكرهم من دونها ذلك الختم[38]

فاللفظ مشترك بين البيتين (لو نظر، ختم إنائها)، فالخمرة الصوفية لها مواصفات وميزات غير تلك التي تعرفها الخمرة العادية المعروفة عند العرابيد.

ومثله، قول "الأمير":

فلا عالم إلا خبير بشربها ولا جاهل إلا جهول بها غرو[39]

تناص لفظي مع "عبد القادر الجيلاني"، في قوله:

فلا عالم إلا بعلمي عالم ولا سالك إلا بفرضي وسنتي[40]

تشابه في اللفظ (عالم)، واختلاف في المعنى بين البيتين، فالأول يحمل معنى الخمرة، أما الثاني فيحمل معنى صوفيا يتمثل في وحدة الوجود، وهو أحد ركائز عقيدة الصوفية.

ومثله، قول "الأمير":

ويسكرهم طيب النسيم إذا سره تظن بهم سحرا وليس بهم سحر[41]

تناص لفظي مع "أبو نواس"، في قوله:

فجاءت به كالغصن يهتز ردفه تخال به سحرا وليس به سحر[42]

يلاحظ في الشطر الثاني من البيتين نفس الألفاظ، حتى ما اختلف من الألفاظ بقي معناه (تخال، تظن).

ومثله، قول " الأمير":

من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى فنحن أطول خلق الله في العمر[43]

تناص لفظي مع " ابن نباتة السعدي"، في قوله:

من لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد[44]

اشترك البيتين في لفظ (يمت)، واختلف المعنى قليلا؛ حيث أراد "الأمير" أن يدلل على معنيين؛ الأول قوة جيشه في مقارعة الأعداء في الحروب، والثاني معنى ديني بأن المسلم يموت شهيدا في الجهاد فيبقى حيّاً حتى بعد موته إلى يوم الدين، أما "خباب" فأراد أن يقول بأنّ الموت صاحب كل مخلوق، ولا يستطيع أن يهرب منه أحد عندما يحين الأجل.

ومثله، قول "الأمير":

وما زلت أرميهم بكل مهند وكل جواد همه الكر لا الشوى[45]

تناص لفظي مع " عنترة"، في قوله:

مازلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالدم[46]

الاشتراك اللفظي بين البيتين تمحور حول جملة (مازلت أرميهم)، والمعنى فيه دلالة على شدة القتال والبطش.

د- <u>التناص التلميحي</u> (غير المباشر):

التلميح لمعنى معين لمعنى سابق في نص آخر، ومثله قوله في قصيدة " بي يحتمي جيشي"[47]:

سلي الليل عني كم شققت أديمه على ضامر الجنين معتدل عال

سلي البيد عني والمفاوز والربى وسهلا وحزنا كم طويت بترحالي

تناص تلميحي مع "عنترة"[48]:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقيعة أنني أغشى الوغى وأعف عنهم عند المغنم

فالقارئ لبيتي "الأمير" يشعر بمعنى مشابه لمعنى سابق في شعر "عنترة" عندما قال (هلا سألت)، فالأمير يفتخر أمام زوجته، مخبرها عن قوته وتجلده في مواجهة ظروف الحياة القاسية، والمعنى نفسه نجده عند "عنترة" الذي يفتخر بخصاله أمام عبلة.

ونفس المعنى –أيضا- كما في قول "المتنبي"[49]:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

ومن أمثلة التناص التلميحي، قول "الأمير":

يا نفس إن الأمر غيب فما تدري بماذا يكون الكشف في آخر العمر[50]

تناص لفظي مع "زين العابدين"، في قوله:

يا نفس ويحكي توبي واعملي حسنا عسى تجزين بعد الموت بالحسن[51]

البيت فيه تلميح لبيت "زين العابدين" وهو يخاطب نفسه يحذرها من الدار الفانية ويذكرها بالدار الباقية. والقارئ لبيت "الأمير" يشعر بتشابه في المعنى مع البيت الآخر من أول لفظ (يا نفس).

ومثله، قول "الأمير" في قصيدة " "[52]:

ففرقنا جمعا وكدر صفونا وجوعنا جوعا فقدنا له صبرا

فإن شئت فلبترا لعلك مدركي وإلا فإن الجوع قد هيأ القبرا

تناص لفظي مع "عنترة"، في قوله:

ولقد أبيت على الطوى وأظلـه حتى أنال به كريم المأكـــل [53]

فعن ترة يفضّل أن يموت جوعا على أن يأكل من لئيم المأكل، والقارئ يشعر بذلك التشابه المعنوي وهو يتنقل بين الكلمات في بيتي "الأمير" الذي آثر الامتناع على الأكل تضامنا مع صديقه المريض الذي لا يقوى على تناول الطعام.

هـ- <u>تناص الحكم والأمثال</u>:

ومثله، قول "الأمير":

وقد قيل : لا يأبى الكرامة غير من له عرق لؤم لم يزل في الخنا يسري [54]

تناص مع المثل القائل: لا يأبى الكرامة إلا اللئيم.

وقوله:

وقد قيل : يبقى الود ما العتب باقيا فلله ما أحلى مقال ذوي اللـــب [55]

تناص مع المثل القائل: يبقى الود ما بقي العتاب

و- <u>التناص التراثي</u>:

يبدو اهتمام "الأمير" بالتراث بارزا، فهو صاحب شخصية دينية، وأدبية، وسياسية، وعسكرية، ما مكنه بأن يطلع على أهم مصادر التراث العربي والإسلامي.

يقول في قصيدة "شددت عليه شدة هاشمية"[56]:

مناقب مختاريـــة قادريـــة تسامت وعباسية مجدها احتـــوى

وإن شئت نحوا فانحنا تلق ماله غدا يذعن عن البصري زاهدا بما روى

ففي البيت الأول ذكر كلمة (مختارية) قاصداً بها النبي المختار محمد صلى الله عليه وسلم، وكلمة (قادرية) نسبة إلى الطريقة الصوفية القادرية، و(عبّاسية) نسبة إلى بني العباس أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي البيت الثاني ذكر (البصري) قاصدا به العالم الزاهد التابعي الحسن البصري.

ويغازل "الأمير" زوجته –أم البنين- ذاكرا مدينة بابل التاريخية بالعراق، المشهورة بحدائقها الساحرة التي لا يزا ل يضرب بها المثل بجمالها، فهو يقول:

لها منطق حلو به سحر بابـل رخيم الحواشي وهو أمضى من الخال [57]

وفي سياق التراث الشعري العربي، يذكر "الأمير" (سعاد وعلوا) وهما عروستا الشعر العربي، فهو يقول:

يقولون لا تنظر سعاد ولا علوا وعد من الآثار واقصد لمن تهـــوى [58]

ي- <u>التناص الديني</u>:

شغل التناص الديني حيزا مهما من أشعار "الأمير"، وقد شكل ذلك ظاهرة أسلوبية ميزت شعره، فشخصيته الإسلامية أثرت في شعره، فأراد أن يعبر عن أغراضه المختلفة مقتبسا من الآيات القرآنية، ليؤكد على المعنى في ذهن المتلقي، ومن أمثلة ذلك قوله:

فما نسج داوود كنسج عناكب ولا الغادة الهيفاء تزهو بخلخـــال [59]

ففي البيت تناص مع الآية الكريمة ﴿**وعَلّمْناهُ صَنعةَ لَبُوسٍ لكم لتُحصِنَكم منْ بأْسِكم**﴾[60]

وفي مثال آخر، يقول "الأمير":

فذلك فضل الله يوتيه من يشا وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر[61]

في البيت تناص مع قول الحق سبحانه وتعالى " **ذلك فضْلُ اللهِ يُؤتيهِ من يشاء** "[62]

ويقول:

وذا مثل للمدعين ومن يكن على قدم صــدق طبيبــا له خبـر[63]

ففي قوله (قدم صدق)، تناص مع الآية الكريمة ﴿**أكان للنّاس عجبا أنْ أوحَيْنا إلى رَجُلٍ مِنْهم أنْ أنْذر النّاس وبشّر الّذين آمنوا أنّ لهم قدم صدق عند ربّهم قال الكافرون إنّ هذا لساحر مبين** ﴾[64]

ومثله، قوله:

وملنا على الأوطان والأهل جملة فلا قاصرات الطرف تثني ولا القصر[65]

فقوله (قاصرات الطرف)، التي قصد بها (الحور)، تناص مع قوله تعالى :﴿ **فيهنّ قاصرات الطّرف لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان**﴾[66]

ولا غرو في هذا وقد قال ربنــا تراهم عيون ينظرون ولا بصــر[67]

فقول الشاعر (تراهم عيون ينظرون ولا بصر)، تناص مع قوله تعالى:﴿**ويقول الّذين آمنوا لولا نزّلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الّذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشيّ عليه من الموت فأولى لهم** ﴾[68] **ولهم أعين لا يبصرون بها**

ومثله، قوله:

كم حاول الصحب الآل الكرام لها والله يختص من قد شاء أفضــالا[69]

ففي قول الشاعر (الله يختص من شاء)، تناص مع قوله تعالى:﴿ **يختصّ برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[70]

ز- التناص الذاتي:

من خلال تعريفات "التناص" المتباينة بين ثقافة المبدع، والسرقات، والتأثر بإنتاج الغير، يظهر أن الشاعر " ليس إلا معيدا لإنتاج سابق في حدود من الحرية، سواء أكان ذلك الإنتاج لنفسه أو لغيره"[71]

فالشاعر في لحظة الإبداع تمر به أفكار من مخزونه الثقافي، ينتقي منها ما يناسب جوه الشعري ويخدم سياق قصيدته.

وفي شعر "الأمير" يتجلى التناص لنفسه في مواضع مختلفة، باستدعاء تراكيب متشابهة أحيانا، أوبألفاظ ذات صيغ ودلالات متشابهة أحيانا أخرى، معيدا ما قاله من قبل، تأثرا بحالة شعورية معينة، أو تأكيدا لفكرة، أو تنبيها للمتلقي، أو لأن تلك الألفاظ أو التراكيب لا يوجد أفضل منها –بالنسبة له- في سياقه الشعري.

ومن أمثلة ذلك، قوله:

توسد بمهد الأمن قد مرت النوى وزال لغوب السير من مشهد الثوى[72]

تناص مع قوله في ختام القصيدة:

وما قال بعد السير والجد منشـدا توسد بمهد الأمن قد مرت الـنوى[73]

الشاعر نظم هذه الأبيات متحدثا عن جواده الذي لقي حتفه بسهم كان سيودي بحياته، وذلك في معركة (خنق النطاح) قرب مدينة وهران؛ لذلك فالتناص في البيتين راجع إلى حالة داخلية في نفسية الشاعر؛ حيث اجتمعت في هذا القالب مزايا لغوية جعلت له تأثير، فنجد فعل الأمر(توسد)، وصيغته الدالة على المبالغة، حذف المنادى وأداة النداء، فالذات المكلومة برحيل جواد الشاعر عبرت عن موقف شعوري جعل "الأمير" يعيده في آخر قصيدته.

ومثاله أيضا في قصيدة "أستاذي الصوفي"، يقول:

أمسعود جاء السعد والخير و اليسر وولت جيوش النحس ليس لها ذكر[74]

ويقول في ختام القصيدة:

عليــه صلاة الله ما قــال قائـل: أمسعود جاء السعد والخير و اليسر[75]

بتماثل صياغي ودلالي وبصيغة الاستفهام التعجبي (أمسعود)، والذي يقصد به نفسه، وكأنه يقول يا سعادتي، يعبر الشاعر عن سعادته بلقاء "محمد الفاسي" صاحب الطريقة الصوفية الشاذلية، والذي أخذ عنه التصوف بمكة، وأتى بالفعل الماضي (جاء) بصيغة الحاضر، مستخدما مفردات مترادفات لمعنى السرور (السعد، الخير، اليسر).

وفي قصيدة "ذات خلخال"، يقول:

خليلي وافت منكم ذات خلخـــال تتيه على شمس الظهيرة بالخـال[76]

تناص مع قوله في قصيدة "نعمة الشفا":

خليلي قل لي كيف أمسيت إنني تحملت حزنا منك بغيا له رضوى[77]

وفي قصيدة "لا ندم ولا ملامة"، يقول:

خليلي لا تندم على العتب للحب فإن خيف الحب أنفع بالطــب[78]

يلاحظ في الأبيات الثلاثة استدعاء لفظة (خليلي) الدالة على المحبة والحنان، وقد حذف الشاعر أداة النداء دلالة على أن الذات حذفت المسافة المكانية بينها وبين المنادى العزيز على القلب، فالشاعر يحس دوما ببعد الحبيب، والشوق إليه، فهو يستخدم التناص تنفيسا عن ما بداخله من حرقة وعذاب.

ومما سبق؛ يتجلى أنّ "الأمير" استخدم التناص بكل أنواعه، معبرا من خلاله عن ثقافته الواسعة، مبينا عن تأثره بالموروث العربي والإسلامي، مبرزاً عن مشاعره وفكره؛ فبرغم مشاغل الأمير المتعددة، إمام، وأمير دولة، وقائد جيش، إلا أن ذلك لم يثنه عن التشرّب من مختلف أنواع المعرفة؛ بثقافة تنوعت بين الفقه، الأدب، الفلسفة، التصوف... مما أثرى معجمه الشعري بالعديد من التضمينات التي أوحت بموسوعية اطلاعه وقدرته على استخدام أسلوب متميز في نظم الشعر وتوصيل رسائله بكيفيات متعددة إلى المتلقي الذي يجد نفسه يسبح بين أبيات الأمير التي تأخذه إلى شعر وأدب وتاريخ التراث العربي تارة، وتحيله إلى معارف متنوعة تارة أخرى.

هوامش البحث:

1 -جوليا كريستيفا : علم النص ، ترجمة: فريد الزاهي ، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1997م، ص78.

2-عبد الله محمد الغذامي : الخطيئة والتكفير- من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، 1985م

3-محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 1992م، ص131.

4-صبحي الطعان : بنية النص الكبرى، عالم الفكر، مجلد 23، العددان الأول والثاني جوان، سبتمبر، 1994م ، ص446 .

5-الأمير عبد القادر: الديوان، تحقيق : العربي دحو، دار ثالة، الجزائر، ط1، 2007م، ص50.

6-صنعة حاتم الضامن :شعر الخليل بن أحمد ، (شعراء مقلون)، عالم الكتب، ط1، 1987م، ص31.

7-سليمان عشراتي: الأمير عبد القادر الشاعر، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط1، 2011م، ص110

8-الأمير، المرجع السابق، ص122.

9-محمد سليم بن السيد حسن الأنسي: ذخائر الأعلاق -شرح ترجمان الأشواق-، المطبعة الأنسية، بيروت، لبنان، 1213ه، ص34.

10-الأمير، المرجع نفسه، ص.49

11-معلقة عنترة- بن-شداد/www.ar.wikiquote.org/wiki

12-الأمير، نفسه، ص51.

13 www.qurra-shengit.com/vb/showthread.php?t-4751

14-الأمير، نفسه، ص51.

15-عبد الرحمن السهيلي: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، تح عمر عبد السلام ، بيروت، لبنان، ج4، ط1، 2000م، ص340.

16-الأمير، نفسه، ص72.

http://arabicprose.tumblr.com/post/90844659435 **17**إذا-ذهب-العتاب-فليس-ود-ويبقى-الود-ما-بقي-العتاب/

18-الأمير، نفسه، ص49.

19-أبو الفرج الأصفهاني: كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، ص443

20-الأمير، نفسه، ص93.

21-أحمد بن المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، ج4، 1968م، ص489.

22-الأمير، نفسه، ص96.

23 www.forum.sedty.com/t_160841.html

24-الأمير، نفسه، ص.63

25 www.arabvolunteering.org/corner/avt_10221.html

26- الأمير، نفسه، ص112/111.

27- نفسه، ص 112/111.

28www.diwandb.com/poem/ألا-فاسقني-خمرا-وقل-لي-هي-الخمر.html.

29-الأمير، نفسه، ص 117/116.

30-أبو الحسن الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان ، ص53.

31-الأمير، الديوان، ص111.

32-تنبه_قد_بدى_شمس_العقار/www.ara.bi/poetry/117818

33-الأمير، نفسه، ص.111

34-ابن الفارضwww.marefa.org/index.php

35-الأمير، نفسه، ص51.

36-خليل الخوري، ديوان عنتر، مطبعة الآداب، بيروت، لبنان، ط4، 1893م، ص12.

37-الأمير، نفسه، ص111.

38 www.Sudanceonline.com/egi-bin/.../2bb.egi?

39-الأمير نفسه، ص.111

www.sidicheikh.yoo7.com/t79-topic**40**

41 -الأمير، نفسه، ص112.

www.maaber.org/issue_september13/literature4.htm**42**

43-الأمير، نفسه، ص.51

www.alfaseeh.com/vb/archive/index.php/t-42946.html**44**

45-الأمير، نفسه، ص.54

46- معلقة عنترة- بن-شداد/www.ar.wikiquote.org/wiki

47-الأمير، نفسه، ص.49

48-خليل الخوري، السابق، ص75.

www.traidnt.net/vb/traidnt-1530147/49

50-الأمير، نفسه، ص114.

www.alsarab.coolbb.net/t7524-topic51

52-الأمير، نفسه، ص.74

53-خليل الخوري، السابق، ص68.

54-الأمير، نفسه، ص70.

55-نفسه، ص72.

56- نفسه، ص53.

57 - نفسه، ص63.

58- نفسه، ص31.

59- نفسه، ص63.

60- القرآن الكريم، سورة الأنبياء، الآية 80.

61-الأمير، نفسه، ص109.

62- القرآن الكريم، سورة الجمعة، الآية 4.

63-الأمير، نفسه، ص110.

64- القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 2.

65 -الأمير، نفسه، ص112.

66- القرآن الكريم، سورة الرحمن، الآية 56.

67- الأمير، نفسه، ص113.

68-القرآن الكريم، سورة محمد، الأية 20.

69-الأمير، نفسه، ص91.

70- القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 74.

71 -محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص125/124.

72- الأمير، نفسه، ص102.

73 - نفسه، ص52.

74 - نفسه، ص.54

75- نفسه، ص113.

76- نفسه، ص62.

77- نفسه، ص70.

78- نفسه، ص72.